الدّراما
في القرآن الكريم

تاليف
الشيخ عبد العظيم المشيخص

مركز الآفاق للدراسات

الدراما في القرآن الكريم

الدراما

في

القرآن الكريم

شبكة كتب الشيعة

تأليف

عبد العظيم المشيخص

shiabooks.net
mktba.net < رابط بديل

حقوق الطبع والنشر محفوظة

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

اسم الكتاب: ..... الدراما في القرآن

تاليف: ..... عبد العظيم المشيخص

الناشر: ..... مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

الطبعة الأولى: ..... ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

لبنان / بيروت / الفيري ص.ب ٢٧٨ / ٢٥

info@Omalqora.com

المقدمة

القرآن الكريم كتاب الحياة البشرية والإنسانية معاً، ففيه تبيان كل شيء، لا تستغني عنه البشرية المعاصرة، فهو دستور سعادتها وسلم نجاتها وطريقها نحو حياة أفضل، وهو الدستور الشامل لإصلاح الخلق، ففيه العبادات، والأحكام، والأخلاق، والآداب والمواعظ، والقصص، وهو المنهج الذي لا تستقيم حياة الإنسانية إلاّ به.

لذا ينبغي الاهتمام بكتاب الله في مختلف ميادينه العلمية، والأخلاقية، والثقافية والأدبية، والبلاغية، والتي تعتبر للمسلم قارب نجاته الحتمي في بحر الشهوات والغرائز والإغراءات المختلفة التي منيت بها هذه الأمة اليوم.

فقد حاول الإعلام الغربي منذ أن كان وإلى هذا اليوم تكريس منهج المحاربة والعداء لكتاب الله العزيز، مما حدا ببعض المتأوربين أن يكيل التهم تلو التهم لكتاب الله.

لذلك أيها الإخوة يجب على كل مسلم أن يساهم في تفعيل المشاريع المختلفة التي تجعل جيلنا المعاصر يطور وشائج علاقته بكتاب الله العزيز؛ لأنّ ذلك يجعل منا أُمّة ذات سيادة أبديه، وإلاّ فلا.

وهذا الكراس ـ عزيزي القارئ ـ محاولة مني في تفعيل العمل الديني، والعلمي والثقافي، والأخلاقي والتربوي عن كتاب الله العزيز، آمل أن ينال إعجاب القارئ اللبيب.

والله من وراء القصد.

١/ ٥/ ١٤٢٤هـ

السعودية ـ القطيف

فضائل القرآن الكريم

لا أتصوّر أنّ هناك عقلية تمكنت من استيعاب مضامين القرآن الكريم الواقعية حتى الذين دأبوا على تفسيره والتدبّر في معانية يعترفون بقصورهم عن إدراك معانية.

فها هو في كل عصر وزمان تواكب آياته وسوره الكثيرة ـ بما تحمله من علوم مختلفة ـ تطورات العصرنة في كافة مجالاتها المتعددة، ففي كل يوم نقرأ آياته الكريمة ونطبقها على واقعنا المعاصر فنستخرج علوماً تواكب ذلك الزمان والمكان وعندما نعود لقراءتها مرّة أُخرى نراها تعطينا علوماً تختلف عن الأُخرى؛ بما يتطلبه ذلك الزمان والمكان الذي قرئت فيه.

يقول الإمام الخوئي ﷺ: من الخير أن يتصاغر الإنسان أمام هذه العظمة، وقد يكون الاعتراف بالعجز خيراً من المضي في البيان، وماذا يقول الواصف في عظمة القرآن، وعلوّ كعبه؟ وماذا يقول في بيان فضله، وسموّ مقامه؟ وكيف يستطيع الممكن أن يدرك مدى كلام الواجب؟ وماذا يكتب الكاتب في هذا الباب؟ وماذا يتفوه به الخطيب؟ وهل يصف المحدود إلاّ محدوداً؟

وحسب القرآن عظمة، وكفاه منزلة وفخراً أنّه كلام الله العظيم، ومعجزة نبيه الكريم، وأنّ آياته هي المتكفلة بهداية البشر في جميع شؤونهم وأطوارهم في أجيالهم وأدوارهم، وهي الضامنة لهم بنيل الغاية القصوى والسعادة الكبرى في العاجل والآجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[1].

وجاء في فضله العظيم ما يلي:

قال رسول الله ﷺ: «القرآن هدى من الضلال، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأحداث، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية

---

(١) الإسراء: ٩.

وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم، وما عدل أحد عن القرآن إلاّ إلى النار»[١].

وقال صلى الله عليه وآله: «لا يعذب الله قلباً وعى القرآن»[٢].

وقال صلى الله عليه وآله: «من كان القرآن حديثه، والمسجد بيته بنى الله له بيتا في الجنة»[٣].

وجاء أبو ذر إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله! إني أخاف أن أتعلّم القرآن ولا أعمل به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يعذّب الله قلباً أسكنه القرآن»[٤].

وذكر رسول صلى الله عليه وآله الفتنة يوماً فقلنا: «يا رسول الله! كيف الخلاص منها؟ فقال: بكتاب الله، فيه نبأ من كان قبلكم، ونبأ من كان بعدكم، وحكم ما كان بينكم، وهو الفصل، وليس بالهزل، ما تركه جبّار إلاّ قصم الله ظهره، ومن طلب الهداية بغير القرآن ضلّ، وهو الحبل المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذي لا تلبس على الألسن، ولا يخلق من كثرة القراءة، ولا تشبع منه العلماء ولا تنقضي عجائبه»[٥].

وقال صلى الله عليه وآله: «هبط عليّ جبرائيل فقال: يا محمد إنّ لكل شيء سيداً... وسيد الكلام العربية وسيد العربية القرآن»[٦].

وعن معاذ بن جبل قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر، فقلت: يا رسول الله حدثنا بما لنا فيه نفع، فقال صلى الله عليه وآله: إن أردتم عيش السعداء، وموت الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والظلّ يوم الحرور، والهدى يوم الضلالة، فادرسوا القرآن فإنه كلام الرحمن

---

(١) الوسائل ٥: ٥٨٢.

(٢) الوسائل ٤: ٨٢٥، باب: ١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) موسوعة الحديث النبوي ٣: ٣٤٥.

(٥) البحار ٢: ٢٨٤.

(٦) البحار: ٦١: ٣٠.

وحرز من الشيطان، ورجحان في الميزان»[١].

وقال ﷺ أيام وفاته فيما أوصى به إلى أصحابه: «كتاب الله وأهل بيتي، فإنّ الكتاب هو القرآن، وفيه الحجة والنور والبرهان، كلام الله غضّ جديد طري، شاهد وحكم عادل، قائد بحلاله وحرامه وأحكامه، بصير به، قاض به، مضموم فيه، يقوم غداً فيحاجّ به أقواماً فتزل أقدامهم عن الصراط»[٢].

ويقول الإمام علي عليه السلام في صفة القرآن: «ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضلّ نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوؤه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى أسقامه وعزّاً لا تهزم أنصاره وحقّاً لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافي الإسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا يُنضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاج لطرق الصلحاء ودواء ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته وعزاً لمن تولاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتم به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاج به، وحاملاً لمن حمله، ومطية لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجنة لمن استلمه، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى وحكماً لمن قضى»[٣].

---

(١) البحار: ٨٩: ١٩.

(٢) الزرقاني، فضائل القرآن ٢ : ٢٣٤.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٨.

وقال عليه السلام: «إنّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحدٌ إلاّ قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، ونقصان من عمى. واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإنّ فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والعمى والضلال، اسألوا الله به وتوجهوا إليه بحبه ولا تسألوا به خلقه إنه ما توحد العباد إلى الله بمثله، واعلموا أنه شافع مشفّع، وقائل مصدّق، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه، ومن حلّ به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فإنه ينادي منادٍ يوم القيامة: ألا إنّ كل حارث مبتلىً في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن، فكونوا من حرثته وأتباعه، واستدلّوه على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتّهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم»[1].

وعنه عليه السلام أنه قال: «تعلموا القرآن فإنّ القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليه الخلق والناس صفوف عشرون ومئة ألف صف، ثمانون ألف صف أمة محمد وأربعون ألف صف من سائر الأُمم، فيأتي على صفّ المسلمين في صورة رجل فيسلّم فينظرون إليه ثم يقولون: لا إله إلاّ الله الحليم الكريم، إنّ هذا الرجل من المسلمين نعرفه بنعته وصفته، غير أنه كان أشد اجتهاداً منّا في القرآن، فمن هناك أُعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه.

ثم يجاوز حتى يأتي على صف الشهداء، فينظر إليه الشهداء فيقولون: لا إله إلاّ الله الرب الرحيم، إنّ هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته، غير أنه من شهداء البحر فمن هناك أُعطي من البهاء والفضل ما لم نعطه. قال: فيجاوز حتى يأتي على صفّ

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٦.

شهداء البحر في صورة شهيد، فينظر إليه شهداء البحر فيكثر تعجّبهم ويقولون: إنّ هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته وصفته، غير أنّ الجزيرة التي أُصيب فيها كانت أعظم هولاً من الجزيرة التي أُصبنا فيها، فمن هناك أُعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نُعْطَهُ.

ثم يجاوز حتى يأتي صفّ النبيين والمرسلين في صورة نبي مرسل، فينظر النبيّون والمرسلون إليه، فيشتدّ لذلك تعجّبهم ويقولون: لا إله إلاّ الله العظيم الكريم، إنّ هذا النبي مرسل نعرفه بصفته وسمته غير أنه أعطي فضلاً كثيراً.

قال: فيجتمعون فيأتون رسول الله صلى الله عليه وآله فيسألونه ويقولون: يا محمد! من هذا؟ فيقول: أو ما تعرفونه؟ فيقولون: ما نعرفه؟ هذا ممن لم يغضب الله عليه، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا حجة الله على خلقه، فيسلم. ثم يجاوز حتى يأتي صفّ الملائكة في صورة ملك مقرّب، فينظر إليه الملائكة فيشتد تعجبهم ويكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله ويقولون: تعالى ربنا وتقدّس، إنّ هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته وصفته، غير أنه كان أقرب الملائكة من الله عزّ وجلّ مقاماً من هناك أُلبس من النور والجمال»[1].

وعن علي بن الحسين صلى الله عليه وآله: «آيات القرآن خزائن فكلّما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها»[2].

---

(١) البحار ٧: ٣١٩، باب: ١٦، ح: ١٦.

(٢) الوسائل ٦: ١٩٨.

تعريف القصة لغة واصطلاحاً

أشار ابن منظور في لسان العرب إلى أنّ القَصَّ فعل القاصّ إذا قصّ القصص ويقال في رأسه قصّة يعني الجملة من الكلام، ونحوه قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[1] أي نبيّن لك أحسن البيان.

والقاصّ الذي يأتي بالقصّة من فصّها، ويقال قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[2].

والقصة الخبر، وهو القصص، وقصّ علي خبره يقصه قصصاً، أورده القصص الخبر المقصود بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقصص (بكسر القاف) جمع القصّة التي تكتب.

وتقصى الخبر تتبعه[3].

واصطلاحاً: رواية الحديث على وجهه، وقص عليه الخبر قصصه، وذهب ابن منظور إلى أنّ القصة اصطلاحاً هي: رواية الحديث على شكل قصّة يكون فيها القاص متتبعاً للمعاني وألفاظ القصّة على وجه الدقة.

ويقال: أقصصت الحديث رويته على وجهه، وقصّ عليه الخبر قصصاً، وتجيء القصّة بمعنى الإخبار، فيقال: قصصت الرؤيا على فلان، إذا أخبرته بها أقصّها قصّاً.

والقصّ هو التتبع، فقصّ آثارهم يقصُّها قصّاً وقصصاً، وتقصّصها تتبعها بالليل وقيل: هو تتبع الأثر أي وقت كان، قال تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا

---

(١) يوسف: ٣.

(٢) القصص: ١١.

(٣) لسان العرب، ابن منظور ٨: ٣١٤، حرف القاف.

قَصَصًا﴾[١]، أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر أي يتتبعانه، وقال أُميّة بن أبي الصلت:

وقالت لأُخته قصيه عن جنب وكيف يقفو بلا سهل ولا جدد

قال الأزهري: القصّ اتباع الأثر، ويقال: خرج فلان قصصاً في أثر فلان وقصّاً وذلك إذا اقتصّ أثره.

قيل: القاصّ يقصّ القصص؛ لاتّباعه خبراً بعد خبر وسوقه الكلام سوقاً[٢].

نستنتج مما سبق: أن القصة لغةً: تعني، البيان، وتتبع الأثر، والحديث، والإعلام والرواية.

القصة في الاصطلاح القرآني:

وفي الاصطلاح، تعني سرد الأخبار وفق معانيها وألفاظها الصحيحة الواقعية، على وجه الدقة.

أما القصة في الاصطلاح القرآني، والذي ذكرت كلمتها (قصّة) ومشتقاتها في القرآن الكريم أربعاً وعشرين مرة، في مجملها تفيد رواية ما حدث للأقوام السابقين مع رسلهم وما جرى بينهم.

القصة في القرآن الكريم:

وأطلق القرآن الكريم على القصص بأنها «أحسن القصص» أي أحسن عرض مسرحي درامي توجيهي تربوي علمي هادف في القرآن الكريم، ولعل هذه اللفظة « أحسن القصص» حصرية على كتاب الله العزيز.

---

(١) الكهف: ٦٤.

(٢) لسان العرب ٨: ٣٤٥.

وما أقصه الله على البشر من قصص هو أحسن القصص، قال تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[1].

وهذا يتناول كلّ ما قصّه الله تعالى في كتابه، فهو أحسن القصص، ومعنى «أحسن القصص» قيل: إنّه مصدر، وقيل: إنه مفعول به، وعلى القول الأول يكون المعنى: نحن نقصّ عليك أحسن القصّ، كما يقال: نكلّمك أحسن التكليم، ونبيّن لك أحسن البيان وعلى القول الثاني يكون المعنى: نحن نقصّ عليك أحسن ما يُقص، أي أحسن الأخبار المقصوصات، وأحسن الحوادث والمواعدات، ويدلّ على هذا المعنى وأنه هو المراد قوله تعالى في قصة نبيّ الله موسى عليه السلام: ﴿فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

أي أحسن البيان، وأوضح العبر؛ لأنّه اختص على أبدع الأساليب، وأحسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والعبر والأمثال.

---

(١) يوسف: ٣.

(٢) القصص: ٢٥.

(٣) يوسف: ١١١.

القصة القرآنية والفرق بينها وبين غيرها:

كما يلحظ أيضاً أنّ هناك فرقاً بين القصة والحكاية، فالحكاية من قولك: حكيت فعل فلان وحاكيته فعلت مثل فعله، أو قلت مثل قوله سواء لم أجاوزه، وحكيت عنه الحديث حكاية، وحكيت عنه الكلام حكاية، فالحكاية يلاحظ فيها المحاكاة والوقوف على ما جرى فقط، أما القصص فإنه ينقلك بنفسك وعقلك ووجدانك إلى الزمان الغابر لتعيش فيه فتأخذ منه العبرة والعظة[١].

لذلك لم يطلق القرآن الكريم على القصة حكاية، بل عبر عنها بالقصص.

وثمة فرق بين القصة والرواية، عرّف ابن منظور في كتابه لسان العرب الرواية بقوله: «الرواية روى الحديث والشعر يرويه رواية وترواه، ورجل راوٍ وراوية، كذلك إذا كثرت راويته والهاء للمبالغة في صفته بالرواية، ويقال: روى فلان فلاناً شعراً، إذا رواه حتى حفظه للرواية عنه»[٢].

فالرواية في المصطلح المعاصر من سنخ القصة، إلاّ أنها تفرق عنها بفروق كثيرة أهمها أنّ الراوية تطول بحسب الموقف أو الحدث المراد الحديث عنه أو الأشخاص الذين تعتمد عليهم الراوية كأبطال، والقصة القرآنية خلاف ذلك، فهي سرد لحدث يشكل سرده تغييراً جذرياً، ودرساً وعبرة مستقبلية، وقد يستفاد منها أحكام شرعية أيضاً، لكونها كلام الله سبحانه وتعالى.

كما أنّ هناك فرقاً آخر بينها وبين الأخبار التي ذكرها القرآن الكريم بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[٣].

---

(١) لسان العرب ١٨: ٣٠٨، فصل الحاء، حرف الواو والياء (حكى).

(٢) لسان العرب ١٩: ٦٦، فصل الراء، حرف الواو والياء (روى).

(٣) الزلزلة: ٤.

إذاً المعنى في هذه الآية الكريمة واضح، فالمقصود به يوم تزلزل وتخبر بما عمل عليها، وخبره بكذا وأخبره نبأه واستخبره سأله عن الخبر وطلب أن يخبره، ويقال: تخبرت الخبر واستخبرته. قال الفيروز آبادي في القاموس المحيط ما نصه: أخبره خبورة أنبأ ما عنده، والمخبرة العلم بالشيء[١].

والقص، أو القصة تختلف اختلافاً بيّناً، فالقصة هي التتبع والتحدث وسرد الأخبار التي مضت مع ملاحظة قوة التأثير والاعتبار والعظة، لذلك فلا يصح أن يطلق عليها خبر.

ولا يطلق على القصة القرآنية أيضاً أنها أساطير، إذ الفرق بينهما واضح، فالأساطير هي الأباطيل، والأكاذيب، والأحاديث التي لا نظام لها ولا ضوابط، واحدها أسطار وإسطير، وأسطور ، ويقال: فلان من المسطرين، أي الكذابين، الذي يلف الأكاذيب.

قال الزبيدي في كتابه تاج العروس: يقال سطر فلان علينا يسطر إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل، يقال: هو يسطر ما لا أصل له، أي يؤلف[٢].

بينما القصة، حدث يلفه الصدق من جميع جوانبه، وتحكي واقع حدث في الماضي لكي يكون عبرة للمستقبل.

نعم قد يقال: إنّ القصص القرآنية بينها وبين التمثيل وجه شبة واضح، نقول نعم، مع الفارق الواضح لكل ذي لب، إذ إنّ التمثيلية عادة ما تكون حدثاً صغيراً، يطبق على خشبة المسارح الأدبية، وهو عرض للمشكلات بغير حلّ، وربما يكون عرضه سبباً لتفاقم المشكلات المعاصرة في المجتمعات بوجه عام والمجتمعات العربية والإسلامية بوجه خاص.

فالقصة في القرآن ليست من هذا القبيل، إنما هي تعبير عن أخبار السابقين بالبيان والأسلوب المنطقي الممزوج بالاعتبار والعظة.

---

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي ٢ : ١٧.

(٢) تاج العروس، الزبيدي ٣: ٢٦٧.

القصة القرآنية والفرق بينها وبين القصة الأدبية:

لم يكن للقصة قبل العصر الحديث عند العرب شأن يذكر، بل كان لها مفهوم خاص لم ينهض بها، ولم يجعلها ذات رسالة اجتماعية وإنسانية.

فقد كان للعرب حكايات يتلهون بها ويستمتعون، ولو أنا عددنا مثل هذه الحكايات قصصاً لكانت القصة أقدم صورة للأدب في العالم؛ لأنّ كل الشعوب الفطرية تسمر على هذا النحو البدائي، ولكن مثل هذه القصص إذا كانت لها دلالة شعبية، فليست لها قيمة فنية حتى تعد جنساً أدبياً، على أنّ أمثال هذه الحكايات لم تتوافر لها من الرواية ما يجعلها جديرة بالاهتمام بها.

وقد نبغ كثير من مسلمي العالم الإسلامي منذ القدم على سرد الحكايات على شكل قصة. يقول الجاحظ: إنّ الخطباء القاصين من أُسرة الرقاشي في إيران، وموسى سواري وغيرهما كانوا يفيدون في قصصهم من اطلاعهم على كتب الشاه نامة، وكانت أقدم هذه الحكايات: كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، وهي تعود إلى أصل فارسي واسمها بالفارسية (هزار أفسانه) وهي مجموعة من الحكايات المتأثرة بآداب شتى وهذا ما جعل ابن النديم في كتابه «الفهرست: ٣٠٤» يصنفها ضمن الأدب الفارسي[1].

أما التي صنفت من الأدب العربي الأصيل، فهي المقامات، وهي في الأصل معناها مجلس تحتوي غالباً على مخاطرات يرويها راوٍ عن بطل يقوم بهذه المخاطرات، وأول من اخترع المقامات وأعطاها هذا الاسم في العربية، هو بديع الزمان الهمداني المتوفى عام ١٩٨هـ، وجاء بعده الحريري في مقاماته، ثم الزمخشري.

---

(١) الفهرست، ابن النديم: ٣٠٤، ط: فلوجل.

وللقصة الأدبية مقومات رئيسية، وهي تنحصر في شيئين هما:

١. الموضوع: ويقصد به الفكرة التي تدور عليها القصة، والأشخاص الذين جاء بهم القصاص لتمثيل الفكرة وإيضاحها.

٢. معالجة موضوع القصة: إنّ الموضوع القيم وحده لا يكفي لأن تكون القصة التي تتضمنه ناجحة وشيقة، ما لم يعرف المبدع كيف يعالج هذا الموضوع القصصي ومن أهمّ العناصر التي تُنجح القصة اختيار الأشخاص الذين ترتكز عليهم القصة، وإن كان هناك الكثير من مقومات كتابة ونجاح القصة الأدبية نترك الحديث عنه إلى مظانه[١].

ومن هنا تبين لنا عبر سرد بعض مقومات أدب كتابة القصة في الأدب العربي ونظرنا كيف أنها تختلف عن القصة في القرآن الكريم اختلافاً كبيراً، فالقصة القرآنية كما نعلم هي من معاجز كتاب الله العزيز، الذي أعجز العرب وفصحاءهم وهم أهل بلاغة وفصاحة، مع ذلك لم يستطيعوا أن يحاوروه في أُسلوبه ولا في بلاغته، أو فصاحته رغم ما كانوا عليه، فمن ضمن العناصر الجوهرية التي ترتكز عليها القصة القرآنية وجود العنصر الفني في أُسلوبه وقصصه.

إنّ خضوع القصة القرآنية للغرض الديني، لم يمنع من بروز الخصائص الفنية في عرضها، فالقرآن يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية[٢].

---

(١) راجع كتابنا الموجز في علوم البلاغة والأدب.

(٢) السيد قطب، التصوير الفني: ١١٧.

الهدف من تكرار الدراما في القرآن[١]:

لعلنا من خلال السطور السابقة ندرك أهمية وجود القصة في القرآن الكريم ولماذا تتكرر في السورة الواحدة عدة درامات سردية في القرآن.

يقول صاحب تفسير المنار: «إنّ في تكرر القصة فوائد، في كل منها فائدة لا توجد في الأخرى من غير تعارض في المجموع؛ لأنّها لما كانت مُنزلة لأجل العبرة والموعظة والتأثير في العقول والقلوب اختلفت أساليبها بين إيجاز وإطناب، وذُكر في بعضها من المعاني والفوائد ما ليس في البعض الآخر حتى لا تُمل للفظها ولا لمعانيها، ثم إنّ الأقوال المحكية فيها إنما هي معبرة عن المعاني وشارحة للحقائق، وليست نقلاً لألفاظ المحكي عنهم بأعيانها، فإنّ بعض أولئك المحكي عنهم أعاجم، ولم تكن لغة العربي منهم كلغة القرآن في فصاحتها وبلاغتها، هذا وإنّ اختلاف الأساليب وطرق التعبير في قصص القرآن وفي القرآن عموماً عن المعنى الواحد لا تختلف إلاّ لنكت تفيد من فهمها فائدة لفظية أو معنوية»[٢].

ثم إننا ندرك حقيقة أخرى ذات أهمية بالنسبة لفلسفة تكرر القصة في القرآن الكريم، ألا وهي: أنّ رسول الله ﷺ كان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلو لم تكن القصص مكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم آخرين، فأراد الله سبحانه وتعالى بلطفه ورحمته أن ينشر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كل سمع، ويثبتها في كل قلب، ويزيل بها كل فساد[٣].

---

(١) هذا الموضوع يحتاج بحثه إلى دراسة مستقلة؛ لأنه موضوع شيق ومتشعب أيضاً.

(٢) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ٨: ٣٤٣.

(٣) الطوسي، التبيان ١: ١٤.

وإذا لحظنا بدقة الآيات الكريمة والتي تُقسم في القرآن إلى قسمين مكي ومدني نرى أنّ الآيات المكية التكرر فيها واضح؛ لأنها جاءت إلى مجتمع متعصب لم يسبق أن كان له دين سماوي، أمّا المجتمع المدني فقد خالط أهل الكتاب الذين يعيشون معه فمكنته هذه المخالطة من التعرف على بعض مبادئ الأديان السماوية التي سبقت العهد النبوي.

ويميل بعض المحققين إلى أنّ التكرر في السور المكية أكثر منه في السور المدنية وذلك لأنّ أهل مكة كانوا في حاجة إلى المواعظ والعبر والقصص وإيرادها على سبيل التكرر، ونظراً لجحودهم وتكذيبهم، لذلك ضمنت أُصول الدعوة، والتوحيد، والوحي والبعث، والإرشاد إلى أُمهات الأخلاق الفاضلة التي كان يقتضيها وضع القوم، علاوة على ذلك نلاحظ أنّ الله سبحانه وتعالى سلك مع أهل مكة سبيل الإيجاز في خطابه حتى جاءت السور المكية قصيرة الآيات، صغيرة السور؛ لأنّهم أهل فصاحة وبلاغة صناعتهم الكلام، وهمتهم البيان، فيتناسب معهم الإيجاز، والإقلال دون الإسهاب والإطناب[1].

والتكرر في القرآن الكريم سواء على صعيد الآيات أو السور يأتي على عدة صور:

١. تكرار الجمل والآيات، مثاله قوله تعالى في سورة المرسلات: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ والتي تكررت ١٢ مرة في سورة واحدة[2].

٢. تكرار في اللفظ والكلمة، مثاله قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[3] وقد تكررت هذه الآية بهذا اللفظ عدة مرات في

(١) الزرقاني، كتاب مناهل العرفان ١ : ١٩٧.

(٢) المرسلات: ١٥.

(٣) آل عمران: ١٠٩.

القرآن الكريم.

٣. تكرار لقصة الواحدة، ومثاله تكرار قصة الرسول الواحد في أكثر من سورة وهذا واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان؛ لأنّ الحديث في هذا الكتاب عن هذا الغرض في القرآن الكريم.

إذاً: أراد الله سبحانه وتعالى بتكرار القصة في القرآن الكريم أموراً:

أحدها: أنه إذا كرر القصة زاد فيها شيئاً، ألا ترى أنه ذكر الحية في عصا موسى عليه السلام، وذكرها في موضوع آخر ثعباناً، ففائدته أنّ ليس كل حية ثعباناً، وهذه عادة البلغاء أن يكرر أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمة لصفة زائدة.

الثانية: أنّ الرجل كان يسمع من القرآن ثم يعود إلى أهله، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأولين، وكان أكثر من آمن به مهاجرياً، فلولا تكرر القصة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى آخرين، وكذلك سائر القصص.

الثالثة: تسليته لقلب رسول الله صلى الله عليه وآله مما اتفق للأنبياء مثله مع أممهم.قال تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

الرابعة: إنّ إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة، وأساليب مختلفة، لا يخفى ما فيه من الفصاحة والبلاغة.

إلى غيرها من الأُمور المهمة التي من جلها جاء التكرار في القصة في القرآن الكريم، ولقد عرض بعض الكتّاب المحدثين لقضية التكرار بشيء من التفصيل في كتبهم أمثال: عبد الكريم الخطيب في كتابيه «إعجاز القرآن الكريم» و«القصص القرآني» كما عرض لها الأستاذ

---

(١) هود: ١٢٠.

محمد قطب في كتابه «الدراسات القرآنية» وما عرض له د. فضل حسن في كتابه «القصص القرآني، إيحاؤه ونفحاته» وما عرض له أُستاذنا المدرسي في تفسيره «من هدى القرآن الكريم»، وما عرض له الشيخ الشعراوي في كتابه «تفسير القرآن الكريم» وما تحدث به العلامة الطباطبائي في كتابه «الميزان في تفسير القرآن» وكانت النتائج كلها تؤكد على ما سبق ذكره في السطور السابقة.

نعم، إنّ القصة الوحيدة التي خرجت عن هذه القاعدة «التكرار بأقسامه» وذكرت مرة واحدة فقط هي قصة نبيّه يوسف عليه السلام[1]، ولعل القصة الوحيدة التي تكررت أكثر من مرة في أغلب سور القرآن الكريم هي قصة نبيّ الله آدم عليه السلام لكونها تتحدث عن أصل البشر وخلافتهم في الأرض، وعن الجوانب الغريزية، والاستعدادات الكامنة في طبيعتهم، وعنصر الصراع بين الإنسان والشيطان، والذي يتمثل في صراع الحق ضد الباطل، وصراع الفضيلة ضد الرذيلة.

أشار أستاذنا السيد آية الله المدرسي عن هذا الجانب الإعجازي الرائع في فلسفة ورود القصة القرآنية بقوله: وللتاريخ فلسفة قرآنية، نابعة من ذات الفلسفة العامة، التي تشمل فيما تشمل، تطورات حياة الإنسان فما هي تلك الفلسفة؟

---

(١) أشار الإمام السيوطي في كتابة «الإتقان في علوم القرآن ٢: ٨٩» إلى فلسفة ترك القرآن تكرار قصة يوسف عليه السلام وذكر أسباب كثيرة أهمها:

أولاً: إنّ فيها تشبيب النسوة بيوسف عليه السلام، وحال امرأة العزيز معه، ونسوة افتتنوا بأبدع الناس جمالاً فناسب عدم تكرارها لما فيه من الإغضاء والستر.

وثانياً: إشارة إلى عجز العرب عن الآتيان بمثلها، كأنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لهم: إنّ كان من تلقاء نفسي فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في سائر القصص، ولعل السبب في عدم تكرار قصة يوسف في سائر الآيات الكريمة في القرآن الكريم، أنها استوفت كامل الحدث من بدايته إلى نهايته، فأصبح لا فائدة من تكرارها في مكان آخر، وهذا أرجح.

الفلسفة القرآنية للتاريخ هي حقيقة بعض الدروس التي يجب أن نتعلمها من التاريخ ذاته، وهي تحدد لنا حقائق مهمة، وأهمها: أنّ البشر واحد، من واحد وتجري عليه سنن مشتركة، وقد أشار القرآن نفسه إلى هذه الحقيقة الواضحة، فمنذ آدم وأبنائه وهم بداية سلسلة الإنسان نجد الصفات المشتركة بين أبناء البشر، وعبّر القرآن الكريم عن هذه الوحدوية المشتركة بين أبناء البشر بقوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

إنّ عملية تطور الجنس البشري وتفاعله مع بعضه البعض، لم تتمكن من فصل الإنسان عن ماضية وحوادثه ومواقفه الإيجابية والسلبية معاً، ونكتشف ذلك عندما نقف عند التطورات العامة للمجتمعات البشرية والتي تبدأ غالباً من السعي الدائب، باتجاه غايتها المادية والروحية، فعندها يبدأ الصراع.

إنّ فلسفة التاريخ القرآني الذي يتحدث عن سجلات الحياة الماضية بكافة تفاصيلها، ويحاول بقدر الإمكان تكرارها علينا أراد منا أن نقف عند طبيعة الفلسفة القرآنية والتي تحمل بين جوانبها كافة مقومات الحياة نحو عالم أفضل ألا وهي: العبرة

---

(١) الزمر: ٦.

(٢) النساء: ١.

التاريخية بما مضى..

والعبرة تعني: محاولة العبور من الحادثة إلى جذورها، ومن الواقعة إلى أسبابها، ثم تطبيق تلك الحادثة على يتشابه معها في الحياة البشرية المعاصرة، ونجد ذلك واضحاً في آيات القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَـذَا لَهُـوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[3].

استثناءات في الدراما القرآنية:

لم يكن القرآن الكريم مقتصراً على جانب واحد من النسق الدرامي، بمعنى أنّ الدراما التي ذكرها لم تكن خاصة بأشخاص لطبقة واحدة من البشر، بل إنّ القرآن الكريم ذكر قصصاً لغير الأنبياء، بل ذكر من اختلف عند المفسرين والعلماء في نبوتهم، كقصة ذي القرنين، وحديث لقمان لابنه، ونبأ ابني آدم عليه السلام، وخبر المائدة التي طلبها الحواريون وأخبار الأنهار، والقصور، والحور، وأهوال النار، ومقامات الجنة، ومشاهد القيامة، وقصص الحيوان، كقصة الغراب الذي بعثه الله لابن آدم ليريه كيف يواري سوءة أخيه.

---

(١) يوسف: ١١١.

(٢) النساء: ١٦٤.

(٣) آل عمران: ٦٢. راجع كتاب: بحوث في القرآن الكريم، المدرسي: ١٥٨.

والطيور التي ذبحها إبراهيم عليه السلام وفرقها على قمم الجبال، وبقرة بنى إسرائيل التي أمر الله موسى بذبحها لكشف جريمة قتل غامضة.

والذئب الذي اتهم ظلماً بالتهام نبي الله يوسف عليه السلام.

ودابّة الأرض التي أكلت عصا نبي الله سليمان عليه السلام.

وحمار عزير الذي أماته الله مئة عام ثم بعثه.

والحوت الذي ابتلع نبي الله يونس عليه السلام.

وكلب أهل الكهف الذي نام مع أصحاب الكهف ثلاثمئة عام وتسع سنوات.

والعنكبوت التي اتخذت بيتاً.

وهدهد نبي الله سليمان عليه السلام الذي أطلعه على نبأ بلقيس.

والضفادع والقُمل، والجراد، والغنم، والماعز.

وبذلك نرى عنصر الإبداع البلاغي والأدبي والعلمي الممزوج بعنصر الإعجاز في نسق تلك القصص والمشاهد الدرامية، التي تحدثت عنها الآيات الكريمة سواء كان الحديث عنها عبر القصة القصيرة كقصة النحل، والنمل، والهدهد.

أو عبر القصة الطويلة كقصة نوح، وقصة هود، وقصة موسى، وقصة صالح، وقصة لوط عليهم السلام، وأمّا القصة الوحيدة الطويلة التي ذكرت في القرآن، فهي قصة يوسف عليه السلام كما بينا سابقاً.

الدماء في القرآن الكريم

ما معنى الدراما؟

إنّ كلمة دراما مشتقة من الفعل اليوناني القديم (دراؤ) بمعنى (أعمل) أو (عمل) فهي تعني أي عمل أو حدث سواء في الحياة أو على خشبات المسارح الأدبية تعني (دراما)[1].

وارتبطت هذه التسمية بحياة الشعوب القديمة، فالدراما كانت في التاريخ البشري القديم، وعرفتها الشعوب البدائية السابقة، فتاريخ الحضارة الفرعونية أكبر شاهد على تواجد هذا المصطلح لديها، فقد ذكر التاريخ: أنّ الحضارة الفرعونية عرفت الدراما عبر طريق المنتديات والمسارح التي تتلى وتمارس فيها الدراما القصصية اليومية.

وكذلك الحضارة الإغريقية فقد انتشرت فيها النوادي والمسارح التي تتلى فيها القصص، ولكن الملاحظ على المسرح الأدبي التمثيلي كان قليلاً بالقياس إلى الحضارة الفرعونية، بل يوعز بعض الباحثين أنّ الجانب المسرحي التمثيلي عند الإغريق كان يمارس سراً؛ لأنّه كان يتعارض مع طقوس الكهنة والمعابد[2].

بينما القارئ لتاريخ الأنبياء منذ زمن آدم عليه السلام ونهاية بتاريخ سيد البشرية رسول الله صلى الله عليه وآله يرى أنّ الدراما آليات استخدمها الأنبياء عليهم السلام في بث المواعظ، وهداية البشرية على طول فترات تاريخهم الناصع، فمن الطبيعي إذن ومن المعقول أيضاً أن تكون الدراما كمصطلح وآلية نشأت مع نشأة الإنسان على الأرض، فمن من البشر يستغني عن التعبير بطرق سرد القصص؟!

أوليس ما أبدعته السينما المصرية في المسلسلات الدينية لاسيما سيرة الأنبياء عليهم السلام وبالخصوص سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله أروع الدرامات القصصية الميسرة لفهمها فهماً

---

(١) الدراما الإغريقية، د إبراهيم سكر: ٣، ط: المؤسسة المصرية للكتب.

(٢) الفنون الدرامية: ١٤، عادل النادي.

ميسراً؟

أوليس ما أبدعته السينما الإيرانية في العرض الدرامي البديع لقصص القرآن الكريم، كقصة أصحاب الكهف، ومريم عليها السلام وتاريخ الصحابة والعلماء، من أروع الدرامات الأدبية القصصية الرائعة؟.

إذن: قرآننا كان المنطلق الأول والقاعدة العلمية والثقافية والدينية التي فسحت المجال للمبدعين أن يبدعوا، وللمفكرين أن يفكروا، وللعلماء أن يجتهدوا.

القرآن الكريم وإبداعات النص الدرامي:

لنحاول في السطور القادمة أن نطرح العناصر التي تكون منها بناء النص الدرامي القرآني، كل قصة درامية على حدة، لنقف في النهاية على البناء المتكامل للنص الدرامي في القصة القرآنية.

وقبل الخوض في البحث لابدّ من مدخلية بسيطة عن عظم مسؤولية الأمة اتجاه القرآن الكريم.

من المهام الملقاة على عاتق من حملوا مسؤولية الإصلاح في هذه الأمة أن يوجهوها إلى تطبيق العمل على نظام القرآن الكريم، حتى يتسنى لهم تحقيق ما تصبو إليه الأُمة الإسلامية نحو عالم يسوده الأمن والحرية والفضيلة، فبدون هذا الهدف والعمل وفق تطبيقه على حياة البشرية لا يتحقق أبداً نصرهم وتآزرهم واتحادهم في تطبيق الإسلام ونظمه وتعاليمه، والذي يدعونا إلى هذا القول هو أنّ القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي بقي مما أنزل الله سبحانه في أيدي البشر، أما سائر الكتب المنزلة فقد حُرِّفت وبُدِّلت، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ

وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1].

وقام الإجماع عند علمائنا على عدم تمام الكتب الباقية، كالتوراة والإنجيل بالإضافة إلى فقدانها من عالم الوجود البشري اليوم، بل لا أثر لها أصلاً، وكما هو معروف أنّ الكتب السماوية الأخرى التي أُنزلت على الناس في ذلك الوقت لم تنزل لهداية الناس عامة، ولم تكن مستوعبة للفكر البشري والعمل به بصورة مطلقة وكافية أمّا القرآن الكريم فقد استوعب هموم ومشكلات الناس بكاملها وأعطى لكل مهمة وقضية علاجاً مناسباً وحلاً جذرياً شافياً، وهذا ما يميز القرآن الكريم عن باقي الكتب السماوية الأُخرى.

من هنا يجب تطبيق الأعمال الدنيوية للإنسان وفق نظم القرآن الكريم، إذ القرآن مرآة للكون، والبشر مأمورون بفهم هذا الكون والعمل طبق ذلك الفهم، فمثلاً إذا فرضنا أنّ المريض كان مأموراً بشفاء نفسه، ووصف المرض ووصف الدواء ـ كما هو مكتوب في كتاب ـ وقيل: افهم داءك ودواءك واعمل لشفائك، كان اللازم على المريض أن يفهم الكتاب وإلاّ يبقى مريضاً، إنّ تفكُّر الإنسان المسلم في قرآنه يقوده إلى فهم الحياة فهماً صحيحاً.

أنواع التفكير في القرآن:

كل مثقف له نوعية معينة من أطر التفكير العلمي، والثقافي، والتربوي، والتأملي في القضايا المختلفة، كل على حسب فهمة ومقدار طاقته وعلميته، فعلماء الأُصول مثلاً يقومون عن طريق تفكيرهم المتواصل في القرآن باستخراج القواعد الأُصولية والمنطقية والفقهية من مباني الآيات الكريمة؛ ويفهمها العامي الذي لا يمتلك القدرة

---

(١) النساء: ٤٦.

على فهمها فهماً دقيقاً ومتكاملاً لإسعاده في الدارين.

وأمّا علماء التفسير فيحاولون عن طريق تفكيرهم في الآيات ودراستهم لما أُنزل منها على حسب التسلسل الواقعي لحوادث زمانية ومكانية مختلفة التمعن في فهمها واستنتاج العبر الحياتية لما فيه نفع الإنسان المسلم، ولتبسط المقام على الدارس المبتدئ، وكذلك علماء الأخلاق لصقل الإنسان عقيدة وسلوكاً، وفق نظم القرآن الكريم، إذا أراد تكامل نفسه الإنسانية ورفعتها من الحضيض البهيمي إلى أوج القرب الإلهية حتى يتسنى له مقولة العرفاء ويكون نصيبه عالياً وحظّهُ رفيعاً عند الله «**واجعلني من أحسن عبيدك نصيباً عندك، وأقربهم منزلة منك وأخصّهم زلفة لديك**».

وأمّا المصلحون والحركيون في العالم الإسلامي؛ فيحاولون أن يفكروا فيها حتى يتمكنوا من استخراج بعض النظريات الإصلاحية في حياتهم الثورية لتقويم اعوجاج المجتمعات الفاسدة نحو الفضيلة والسعادة الأبدية، وصدق الحديث القائل: إنّ كلّ متفكر في القرآن يحاول أن «**يستثيرون به دواء دائهم**»[1].

التفكير الدرامي في القرآن:

أمّا الحديث عن نوعية التفكير الدرامي في القرآن الكريم فهو واضح لمن التصق بالقرآن الكريم وتعرّف على معانيه وألفاظه، إذ القرآن مليء بهذه المشاهد الدرامية قبل أن يكتشفها أرباب المسارح والأدباء العباقرة، نرى ذلك بوضوح في قصة آدم وحواء وإخراجهما من الجنة، وفي قصة هابيل مع قابيل، وفي قصة الخليل إبراهيم، وفي قصة ذبحه لولده إسماعيل، وفي قصة طوفان نوح، وفي قصة طور سيناء مع موسى، وفي قصة صلب المسيح، وفي قصة يوسف والحوادث التي جرت عليه، وكذلك الصورة

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٣.

المشرقة والصفحات المضيئة من حياة رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

وحسبنا أن نقف عند بعض المشاهد الدرامية التي ملئ بها القرآن الكريم، في تدعيم المفاهيم الدينية والثقافية والعلمية والعبر التاريخية والحياتية؛ عن طريق العرض المسرحي أو القصصي الذي سرعان ما يتثبت في النفوس ويتبلور في العقول ويتحكم في السلوك، وهذه إحدى الطرق التي يعالج بها القرآن الكريم مشكلات الحياة الاجتماعية التي تعج بها كثير من المجتمعات الإسلامية اليوم، وخصوصاً تلك المجتمعات التي ترى من واجبها التحاكم إلى القرآن على أساس انه دستورهم الأول والأخير.

ومن الواضح أنّ الدراما القرآنية، مرتبطة بأساس الدراما الدينية، مع سائر العقائد السماوية، مما تزخر به الكتب المقدسة مع الديانات الكبرى، وما تحتشد به كتب وأسفار الوثنيات القديمة والحديثة في الشرق والغرب، تلك التي تركت آثارها واضحة في سائر ألوان الآداب والفنون،لدى الشعوب البدائية والمتحضرة سواء بسواء، ونرى بصماتها واضحة في تاريخ التراث الحضاري على مرّ العصور والدهور، وفي تلك المشاهد الدرامية التي استخدمها القرآن الكريم قد عالج فيها المشكلات المختلفة في العالم البشري بلسان عربي مبين، وفي صور لا تجد لروعتها مثيلاً في سائر الكتب السماوية المقدسة أو الروائع الفنية على الإطلاق[1].

عرض درامي عن طريق الآيات:

ولو وقفنا لحظات مع بعض الصور الدرامية في الآيات القرآنية لرأينا ذلك واضحاً وجلياً في الصور التي عرضها القرآن الكريم في قصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام

(١) للمزيد راجع دراسات في الفلسفة الدينية: ٥٠، عبد القادر محمد.

وحوادث الشعوب ومواقف الأفراد، ومعالجة القضايا الدينية، والاجتماعية، والتربية السياسية والأخلاقية معاً، ففي المشهد الذي عرضه القرآن في قصة آدم وحواء نلحظ الدراما واضحة في أسلوب العرض القرآني الجميل.

يقول تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۞ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ۞ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

ثم يعرض القرآن الكريم حوادث العنف في حياة الإنسان عندما يتجرد من إيمانه وتحكيم عقلة ويتبع هواه وشيطانه في حادثة القتل المتعمد الذي مارسها قابيل بحق أخيه هابيل.

يقول تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ من أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۞ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ ۞ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا

(١) البقرة: ٣٦ـ ٣٨.

أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[1].

إنّ هذه المشاهد الدرامية لو طلبنا من مسرحي سينمائي متعمق وبارع في فنه أن يخرج لنا هذه الحوادث كما صورها ربنا سبحانه وتعالى، فإنه يقف عاجزاً عن إبداء البراعة المتكاملة في إعطائنا الصورة الحية لما حدث في المشهد بين آدم وحواء وقابيل وأخيه هابيل، ولكنه القرآن الذي أعطانا المشاهد التي لا تذهب من مخيلتنا حتى نهاية الإنسان الدنيوي، ولذلك لم يتوصل الإنسان لحدّ الآن إلى فهم المغازي القرآنية في سرد الحوادث والمعلومات، والأحكام والسنن التاريخية، لكون القرآن أعمق من عقول البشر وأكبر من قدراتهم الكبيرة التي اخترقت الحجب العلمية للكون، والأرض والإنسان، إلاّ أنّ الله يريد أن يعلمنا درساً لقدرتنا التي مهما كانت فهي لا تزال عاجزة عن إدراك سعة علم الله.

قصة نوح والدراما الإصلاحية:

إنّ المطّلع على قصة نوح يرى الدراما التطهيرية، حيث عرض لنا القرآن الكريم عملية التطهير الأخلاقي التي مارسها نوح عليه السلام في قومه، إلاّ أنّ القرآن وفي أكثر من سورة يعرض لنا الدراما الإصلاحية التي مارسها نوح عليه السلام مع قومه، حتى وصل بهم الحال أن يتهموه بالسحر والشعوذة والخرافة، ويحاربوه بالوسائل المختلفة في ذلك الوقت، حتى مارست النساء دورهنّ على أكمل وجه في بث الشائعات، وتثبيط عزم الرجال، وحشد أكبر عدد ممكن من العدّة لمحاربة هذا النبي، وكيف تدخلت العناية الربانية، حيث أمر نبيه بأن يصنع السفينة، وتأخذ منه عملية التصنيع وقتاً طويلاً ويستكملها على أكمل وجه، حيث أتم الاختراع البارع في وقته المناسب، وقومه في

(١) المائدة: ٢٦ـ٣١.

مهاتراتهم الأخلاقية وسلوكياتهم المتهورة، وعقليتهم السخيفة يمارسون أعمالهم الغوغائية.

استمرار صموده وعزمه:

وجاءت النهاية الدرامية في عرض القرآن لمرحلة الموت الجماعي الذي لحق بقوم نوح بعد ما أرسل الله عليهم الطوفان، فأخذهم فأصبحوا من الماضين عبرة ودرساً للشعوب المعاصرة.

يقول تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ من قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۞ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۞ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۞ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا من كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۞ وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ۞ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۞ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۞ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ

مِنَ الْجَاهِلِينَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ۞ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

إبراهيم شيخ الموحدين:

وينتقل القرآن الكريم ليعطينا صورة عملية عن البحث الحقيقي عن الله سبحانه وتعالى، وكيف يجب بذل الوسع العقلي بالبحث عن المعبود، حتى يتسنى للإنسان عبادته عبادة يقينية ؟

كما هو ديدن العلماء وأرباب الفكر في البحث والتنقيب عن منابع التفكير والعلوم والفنون، ويرسم لنا القرآن عبر درامته الرائعة، كيف جاهد شيخ الأنبياء من أجل الوصل إلى سلّم النجاة نحو المعبود، حتى عاداه الأهل والأصدقاء وتعرض لصنوف أنواع التعذيب الجسدي والنفسي بغية الإقلاع عن بحثه الدائم عن طرق العبادة نحو المعبود؟ وكيف أنه يطيع معبوده في كل شيء حتى لو كلفّه ذلك تضحيته بابنه؟

هذه المشاهد التي عرضها القرآن الكريم من قصة إبراهيم عليه السلام لتنير عقل الناشئ المسلم للبحث عن معبوده عن دليل لا عن تقليد، والتضحية الكبيرة من أجل ذلك حتى لو كلّفه ذلك بذل النفس والمال؛ لأنّ المقام يتطلب ذلك، إنّ الحثّ على وجود الدليل القاطع والحجة الدامغة لوجود المعبود الحق لهي من سعادة وأنشودة الإنسان المسلم لتحصيل الكمالات والتلذذ الإنساني العبادي، لملء القلوب إيمانا والتزاماً ويقيناً بما عند الله سبحانه وتعالى.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن

---

(١) هود: ٣٦ ـ ٤٨.

قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۞ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۞ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۞ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۞ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۞ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۞ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۞ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ۞ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ۞ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۞ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۞ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ ۞ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ۞ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ۞ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۞ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۞ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۞ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۞ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ

---

(١) البقرة: ٢٦٠.

(٢) الشعراء: ٦٩ـ ٨٩.

كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ۞ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ۞ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ۞ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۞ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۞ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۞ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾[1].

يوسف وعوائق الدعوة:

يحدثنا القرآن في هذا المشهد الدرامي عن صراع الإخوة على السلطة والصراع على التفرد العاطفي والقلبي الأبوي، وكيف تحول هذا الصراع إلى معركة ضروس بين الإخوة؟

ويرينا هذا المشهد الدرامي النتائج الحتمية لصراع الحسد والنوازع الشريرة في بني البشر، وكيف أنّ الفاشل في الحياة والظالم يبرر ظلمه وتصرفاته للآخرين حتى يتمكن من التسلط على حياتهم؟

يرينا هذا المشهد الدرامي كيف أنّ الكذب ـ كما يقال ـ حبله قصير، ونهايته لابد أن تكشف فيها السرائر وتعرف الحقائق مهما تلبست وتزينت بأقنعة أُخرى، من ثم يرينا المشهد الدرامي صراع الحب من طرف واحد، وكيف يتحول الحب البريء إلى حربٍ ضارية يشنها المحبوب الذي يرى من محبوبه الجفاء والبعد والعزوف الدائم.

إنّ أخطر الحروب التي تدار بعد المعارك السياسة معارك العشق الزائف والحب الخاطئ ولاسيما إذا كان من طرف واحد، كحال قصة الشاب اليافع والنبي البارع

(١) الأنبياء: ٦٨ ـ ٧٠.

يوسف بن يعقوب والمرأة المتجرئة على الإرادة الإلهية والخارجة على حدود الشارع المقدس والمحاربة لقيم مجتمعها وعفتها وشرفها زليخا، إنّ هذه المشاهد التي تحدث عنها القرآن الكريم ترينا أنّ من كان مع الله واتقاه واستمد منه العون، وحارب النوازع والشهوات وسهام الشيطان، كانت عاقبته حسنة، حيث يمكنه الله من مبتغاه بطرق الحلال، ترينا كيف أنّ الصرع الدائر بين العقل والهوى صراع قديم بقدم الإنسان، وأنّ العوائق التي توضع في بعض الأوقات حجر عثرة في طريق الساعين إلى الله والفارين من معترك الاجتماع الفاسد لابد أن ينصره الله ويثبت أقدامه ويمتعه بنشوة الصبر والنصر معاً، ذلك الأُنموذج الحي للشاب الورع يوسف بن يعقوب عليه السلام.

يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۞ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ۞ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ۞ اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَو اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۞ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۞ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ۞ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۞ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ۞ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ

۞ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ وَجَاؤُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ۞ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ۞ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۞ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۞ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ۞ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۞ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ۞ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۞ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي

ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۞ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ۞ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ۞ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ۞ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۞ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۞ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۞ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۞ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۞ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ۞ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ

خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ۞ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ ۞ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ۞ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۞ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۞ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۞ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۞ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۞ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۞ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ ۞ قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ۞ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ

يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۞ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۞ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ۞ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۞ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۞ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ۞ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ۞ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۞ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ۞ قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ۞ قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ۞ قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۞ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ۞ قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ

قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۞ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۞ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ۞ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۞ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ۞ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۞ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۞ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۞ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ۞ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ۞ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ۞ قَالُوا أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ۞ قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۞ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ

يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ ۞ قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ ۞ فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۞ قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ۞ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ ۞ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ من بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي من تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[1].

الخيال الدرامي في قصة موسى والطور:

وأما في المشاهد الدرامية في حياة هذا النبي العظيم فتلهمنا الآيات الكريمة وتعلّمنا الحكمة البالغة لله، كيف تكفلت بحفظ المخلوق مهما كان، وفي أي زمان ومكان؟

تم تحدثنا عن بطش الحاكم الظالم الذي لا يرعى لله حرمة ولا يعترف بتقاليد المجتمع ويحاول أن يفرض عليهم هيمنته الزائفة وسلطته الطاغية، وكيف يستخدم لتحقيق مأربه أشد أنواع العذاب من سفك الدماء وهتك الأعراض وسلب العفة والشرف من النساء، وكيف أنه يحاول خداع السذّج من المجتمع بأعماله الغوغائية التي تبهر عقول المبطلين والسخفاء في الرأي والفكر.

---

(١) يوسف: ٢ ـ ١٠١.

وتعلمنا هذه المشاهد في قصة موسى عليه السلام صفات الداعية المثالي في الأُمّة وكيف يسعى لقضاء حوائج الناس مهما كانوا وبأيّ مستوى ولاسيما تقديم الخدمات للضعيفين من الناس نساء ورجال، ومن ثم تعلمنا هذه المشاهد أيضاً أساليب الدعوة وقوة المناقشة العلمية الإلهية التي مارسها النبي موسى عليه السلام مع قوم فرعون، وكيف كان يستمد قوته الإيمانية من الله في طور سيناء.

وكيف كان موقف موسى عليه السلام مع الخضر؟

وكيف هي النتيجة الحتمية لكل حاكم ظالم مستبد برأيه؟

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِميقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۞ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ۞ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِه مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ ۞ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِه غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيه يَجُرُّهُ إِلَيْه قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ۞ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى

الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ۞ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾[1].

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِه آنَسَ من جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِه امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۞ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ من شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ۞ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ من رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِه إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۞ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۞ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ۞ فَلَمَّا جَاءهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾[2].

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۞ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۞

---

(١) الأعراف: ١٤٥ـ ١٥٥.

(٢) القصص: ٢٩ـ ٣٦.

قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى ۞ قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ۞ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ۞ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۞ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى ۞ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ۞ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى ۞ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى ۞ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ۞ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۞ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ۞ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ۞ قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ۞ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ۞ قَالُوا إِنْ هَـذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ۞ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ۞ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ۞ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ۞ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ۞ قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى ۞ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ۞ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ۞ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۞ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ إِنَّا

آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۞ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى ۞ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى ۞ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۞ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾[1].

المسيح قدره، كن فيكون:

إنّ وجود مخلوق من غير أب فكرة لا تقبل التصديق بأي حال من الأحوال؛ لكنّ الأمر خاضع للغيب، وذلك يحتمل التصديق والإذعان بالنسبة للآدمي المتعقل عن الله الباحث عن طرق الارتباط الميتافيزيقي، إنّ المشهد الذي نحن الآن بصدده مشهد درامي في غاية الروعة للمتبصرين والمتفهمين والعارفين الذين يناشدون الفضيلة العقلية والسياحة الميتافيزيقية.

إنّ الحوار الذي دار بين مريم العذراء والهاتف السماوي الميتافيزيقي كان له الوقع الأكبر على المرأة التي لا تحتمل أن يكون لها نسل في الحياة الدنيوية، إنّ تدخّل يد الغيب في هذه المسألة جعلها أكبر دليل على إرادة التحدي وفق أُطر غيبية إيمانية والذي لا يمتلك رؤى ميتافيزيقية واتصالاً عرفانياً متكاملاً لا يتصور الدراما التي حدثت لمريم العذراء، فمن المعروف أنّ الجماهير المشاهدة لمنظر مريم وهي تحمل بين جنباتها طفلاً صغيراً، وتقول: إنّه ابنها، إنّه غاية الاستغراب والانبهار بالنسبة إلى من لا يعقل عن الله شيئاً! لذلك سبب هذا المشهد عند اليهود في ذلك الوقت البلبلة الفكرية بوجه خاص، وفي كثير من الأفهام والعقول البشرية بوجه عام، ونظر إلى فداحة

(١) طه: ٤٢ ـ ٧٧.

الموقف المرعب أن تعتقد العقول أنّ الميت جسداً وروحاً يرفع إلى السماء، حيث بدأت خرافة المسيح المصلوب المرفوع إلى السماء من على جبل الزيتون، أنظر كيف تم هذه الحوار؟

يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۞ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۞ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۞ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۞ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۞ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكِ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۞ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ۞ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۞ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۞ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ۞ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ۞ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۞ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۞ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۞ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۞ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۞ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[1].

(١) مريم: ١٦ـ ٣٤.

درامية أهل الكهف.. العيش ضمن عالم المستقبل البعيد:

أن يعيش الإنسان بعد ولادته ويبني للمستقبل فإنّ ذلك لا يدعو للاستغراب، لكن أن يعيش الإنسان سنة وتسع سنوات قبل أن يولد أو بثلاثمئة وتسع سنوات بعد أن مات ذلك هو منظر الدراما التي تثير العقل في الاستفسارات الكثيرة، فقصة أهل الكهف أنموذج فريد في معرفة العوالم المستقبلية بنظرة قديمة ومعرفة القديم بنظرة المستقبل.

لقد تحدثت هذه الآيات من قرآننا الحكيم عن دراما بارعة الخيال الحقيقي الذي حدث على صعيد الدنيا، وانعدام حسابات الزمن بالنسبة للآخرة وأنّ القدرة الإلهية فوق كل قدرة واعتبار، وأنّ الدنيا عنده لحظة من لحظات الحياة الزائفة، فقد أعطانا هذا المشهد القرآني قصة ثلاثة[1] مؤمنين في العصر المسيحي الأول، هربوا بدينهم أيّام الاضطهاد الديني الروماني، إلى كهف ومعهم كلبهم الحارس الأمين، وهناك أمنوا من خوفهم، وأحبّوا أن يناموا قليلاً فناموا، لكنّهم ناموا ثلاثمئة وتسع سنوات، واستيقظوا وهم يحسبون أنهم ما لبثوا إلاّ ساعات من ليل أو نهار يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۞ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۞ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۞ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۞ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۞ وَرَبَطْنَا

---

(١) بيّن الله سبحانه وتعالى التنازع الذي حدث في قومهم في تحديد عدد أصحاب الكهف، وذكره القرآن الكريم في تلك الآيات الكريمة.

ولعل الراجح في تحديد عددهم ما رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: هم مكسلينا وتمليخا ومرطولس، ونينونس، وسارلينونس، ودريونس، وكشوطبونس، وهو الراعي، والكلب. راجع تفسير مجمع البيان ٦: ٣٢٧.

عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ۞ هَـؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۞ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۞ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۞ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ۞ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۞ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ۞ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۞ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاء ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ۞ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ

سنينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۞ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾[1].

قصة الفيل تمرد على القيم السماوية:

في هذا المشهد الرائع يتحدث القرآن العظيم عن تمرد الإنسان على معبوده؛ فما هي النتائج الحتمية التي تصب عليه نتيجة لتمرده؟ وكيف أنّ إرادة الإيمان أقوى من أي إرادة في العالم، حيث هزمت المشركين الذين تمردوا على القدرة الإلهية؟ إنّ المشهد رائع عندما يصور لنا كيف أنّ شيئاً أصغر من حجم الإنسان هذا الطاقة الهائلة تهزمه وتقعده وترديه صريعاً لا حياة له؟

إنّ الله سبحانه وتعالى يتدخل في كل تحريكة وتسكينة في عالم الكون، والأرض والمخلوق، إننا أمام دراما حقيقة الواقع وهي درس وعبرة لكل من تسول له نفسه بالتمرد على القدرة الإلهية والمبادئ الدينية، والقيم الإنسانية، ويصبح ألعوبة في هواه وشيطانه وخرافات قومه. يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۞ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۞ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۞ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۞ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[2].

الإسراء والمعراج أوّل دراما فضائية:

والمتأمل في حقيقة هذه المشاهد التي تحدث عنها القرآن الكريم في العرض البليغ في حدثي الإسراء والمعراج، يريك عمق الاختراعات وبراعة الرحلات الفضائية إلى العالم الخارجي، إنّ عرض القرآن الكريم لحدث الإسراء دليل على الدراما

---

(١) الكهف: ٩ ـ ٢٦.

(٢) الفيل: ١ ـ ٥.

الفضائية الأولى التي قام بها محمدﷺ بأمر ربه، ليتعرف العلم بعد ذلك على حقائق الكون، والأرض، والمخلوقات، بالإضافة للمشاهد الدرامية التي تحدث فيها عن النار والجنة، وعن مراتب الناس كل على حسب عملة في العالم الدنيوي، وتعرف على أنواع الضيافة الجنتية والنارية.

يقول تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1]

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۞ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۞ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۞ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ۞ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۞ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ۞ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ۞ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ۞ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۞ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[2].

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآل بيته الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين.

١/ ٥/ ١٤٢٤هـ

---

(١) الإسراء: ١.

(٢) النجم: ٣ ـ ١٨.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المحتويات

المقدمة ٧

فضائل القرآن الكريم ٩

تعريف القصة لغة واصطلاحاً ١٧

القصة في الاصطلاح القرآني: ٢٠
القصة في القرآن الكريم: ٢٠
القصة القرآنية والفرق بينها وبين غيرها: ٢٢
القصة القرآنية والفرق بينها وبين القصة الأدبية: ٢٤
الهدف من تكرار الدراما في القرآن: ٢٦
استثناءات في الدراما القرآنية: ٣١

الدراما في القرآن الكريم ٣٣

ما معنى الدراما؟ ٣٥
القرآن الكريم وإبداعات النص الدرامي: ٣٦
أنواع التفكير في القرآن: ٣٧
التفكير الدرامي في القرآن: ٣٨
عرض درامي عن طريق الآيات: ٣٩
قصة نوح والدراما الإصلاحية: ٤١
استمرار صموده وعزمه: ٤٢
إبراهيم شيخ الموحدين: ٤٣
يوسف وعوائق الدعوة: ٤٥
الخيال الدرامي في قصة موسى والطور: ٥٢
المسيح قدره، كن فيكون ٥٦
درامية أهل الكهف.. العيش ضمن عالم المستقبل البعيد: ٥٨
قصة الفيل تمرد على القيم السماوية: ٦٠
الإسراء والمعراج أوّل دراما فضائية: ٦٠

المحتويات ٧٣